المحاضرة: 06

نظريات التعلم

2 –النظرية المعرفية أونظريّة النمو المعرفيّ للطفل، لبياجيه [la théorie cognitive]

[ينظر: كتابه اللغة والفكر عند الطفل (Langage et pensée chez l'Enfant 1923**).]**

النظرية المعرفية لبياجيه (وتسمى أيضا نظريّة النمو المعرفيّ لبياجيه). قامت جو ابا على إشكالية: هل أنّ اللغة فطرية أم مكتسبة؟
[الحوار المشهور بينه وبين تشومسكي]

1- تعريف اللغة عند النظرية: اللغة قدرة معرفية عليا -في ذهن الإنسان-كاشف مثالي عن التفكير وأن بنيتها، ميكانيزماتها، وظائفها تعكس مباشرة ميكانيزمات الذكاء اللغوي؛ فالفرد هو الذي يصنع تلك الصيغ من خلال تفاعله بالبيئة، وليس العكس.
ومعنى كل هذا أن الطفل يبدأ من المعرفة ثم اللغة أي (الصورة الذهنية قاعدة لظهور اللغة (l'image ensuite le mot)؛ **(جانب معرفي)**
مثال1: عند بياجي: الطفل ينطق أصواتا خلفية(ع) أو أماميّة (ب/ م)، من باب السهولة/ التقليد/ التدريب، للحروف التي يراها، ولكنه يتخلف في نطق الحاء لأنه لا يراها.
مثال2: من 01 إلى 09 أشهر يقبل الطفل جميع الأشخاص، أما بعد ذلك فلا يقبل إلا الصّور الّتي له مقابل لها صورة ذهنية (الأم/ الأب/ الإخوة/ الجد والجدة إذا كانا معه في البيت)؛ فيبكي إذا أخذه شخص ما ليس للطفل صورة ذهنية عنه مخزنة لديه في ذاكرته، إذن فالفكر سابق للغة، حسب بياجي.

2- أصل اللغة ومنشأها لدى الطفل:

يتعلم الطفل التراكيب اللغوية عن طريق تقدير فرضيات معينة مبنية على النماذج اللغوية التي يسمعها، ثم يضع هذه الفرضيات موضع الاختبار أثناء الاستعمال اللغوي ويعدلها عندما يتضح له خطؤها تعديلاً يؤدي إلى تقريبها تدريجياً من التراكيب اللغوية للكبار إلى أن تصبح تراكيبه مطابقة لتراكيبهم.
مثل: الطفل يستخلص قاعدة لغوية معينة من النماذج التي يسمعها ثم يطبق هذه القاعدة ويعدلها إلى أن تطابق القاعدة التي يستعملها الكبار فمثلاً: الطفل العربي يستخلص قاعدة التأنيث في العربية من نماذج مثل: كبير كبيرة، طويل – طويلة ... إلخ، فيطبقها على أحمر فيقول أحمرة، ثم يكتشف خطأ هذا التطبيق في المثال السابق في فترة لاحقة فيعدّل القاعدة بحيث تنطبق على مجموعة من الأسماء فهو يستعمل أداة التعريف مع الأسماء والصفات ولكنه لا يستعملها مع الأفعال ويستعمل" نون الوقاية" مع الأفعال فيقول: ضربني، أعطاني ولكنه لا يستعملها مع الأسماء فلا يقول: قلمني وإنما قلمي . ...إلخ... على قواعد تركيب الجملة

3- مراحل نمو اللغة عند الطفل:

يقسم بياجي مراحل نمو اللغة إلى: لغة متمركزة حول الذات (Langage égocentrique)، ولغة اجتماعية (Langage socialisé).
- أما **الأولى (المتمركزة حول الذات)** فهي **مراحل ثلاث:**
أ-**التكرارات التَردادية** (repetitions écolatiques)، ومنها الثغثغة، المناغاة الأولية الطبيعية (الذاتية) ثم تكون المناغاة الحقيقية.
ب-**المونولوغ** وهو انتاجات لغوية تصاحب الحركة إما لتدعيمها أو لتعويضها (يلعب ويحدث نفسه في آن واحد).
ج-**المونولوغ الاجتماعي** وهو وضعيات تشترك في انتاج النشاطات اللغوية دون تأثير بعضها على بعض (ليست سؤال وجواب بل عبارة عن تعليق فقط)؛ وعلاقة الطفل اللغوية -في هذا القسم -مع عواطفه اي للغة وظيفة انفعالية.
أما **الثانية (لغة اجتماعية)** فتتمثل في إعطاء معلومة دقيقة نسبيا لمستمع ما. [تسمى لغة الكوارث عندنا، مثل: بابا ماما راحت لدار جارتنا، بابا اختي فلانة هدرت مع واحد فلان جارنا...إلخ.]
[أنظر الجدول]

أقل من 3 سنوات	لما تظهر اللغة تكون أكثر من (50%) متمركزة حول الذات. ويُظهر الطفل بعض الأصوات في بداية المرحلة ولاسيما الصراخ للتعبير عن حاجاته، وتتطور في نهاية السنة الأولى بنطق المقاطع وبعض المفردات وهي غالبا مفردات بسيطة تعكس حاجاته في بيئته، وترتبط جدا بأشيائه المادية الملموسة
من 3 إلى 7 أعوام	مرحلة ابتدائية (40%) متمركزة حول الذات، يتحدث إلى نفسه أثناء انشغاله بأنشطة وألعابه. ويكتسب الطفل في هذه المرحلة قواعد البناء اللغوي، وتظهر في نطق الضمائر وأدوات الربط والصفات وغيرها. وغالباً ما يستخدم اللغة للحديث عن ذاته وعن رغباته مهملا حاجات الآخرين، وما يميز هذه المرحلة أن الطفل ربما يستطيع القيام بعديد من الأنشطة والأعمال لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع التفكير بها أو وصفها من خلال الكلام، فهو يستطيع الذهاب إلى المدرسة لكنه لا يستطيع وصف هذه العملية لغوياً
7 إلى 9	تبدأ اللغة المتمركزة حول الذات بالزوال
من 9 إلى 11 سنة	تتسع دائرة اللغة لدى الطفل وتتحول من لغة الانا إلى لغة عن الآخر (التعبير عن الجماعة التي ينتمي إليها). وتمتد من السنة 8 وحتى 11 وفيها تتسع دائرة اللغة لديه وتزداد عدد مفرداته، وتصبح جُملُه وعباراتُه أكثر تعقيداً وتُحدث تحولاً لغوياً لديه إذ تتحول من لغة الأنا لتأخذ الطابع الاجتماعي، فغالبا ما يستخدمها في التعبير عن الجماعة التي ينتمي إليها، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة وصف العمليات لغوياً، ويطور المفاهيم المادية ويستطيع تصنيف وترتيب الأشياء لغوياً. يظهر في لغة الطفل بشكل واضح وجلي الظرف الزماني والمكاني وصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، إلا أن الطفل يستخدمها كأداة للتواصل الاجتماعي ويستطيع التحدث لفترة أطول معبراً عن نفسه وعن الآخرين والأشياء المادية.
بعد: 12 سنة	قرب لغته من لغة الراشدين، من حيث البناء والمعنى، فيستطيع الطفل استخدام اللغة كأداة من أدوات التفكير، حيث يصبح قادراً على إدراك المفاهيم المجردة كالثواب، وتشكيل الصور الذهنية للأشياء غير الحسية، ومن هنا فهو يستطيع التعبير لغوياً عن المجردات، ويستطيع عمل الاستدلالات والاستنتاجات المنطقية اللغوية. (وعيه أن اللغة أداة للتفكير [القدرة على التجريد]

إذن فالنمو اللغوي حسب بياجي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو المعرف[قدرات عقلية][فمثلًا لا يجب على مسؤولي المدرسة الابتدائية أن يعلموا الطفل الصغير في مرحلة التعليم الأولى(6-12 سنة) لذلك وجَب على مؤلفي البرامج الدراسية مراعاة المستوى العمري والذهني للطفل المتعلم (انعدام الإمكانات العقلية لفهم المجردات لديه في هذا السن) المواد التي لغتها مجردة

- نقد النظريّة: -**إهمالها** لدور العامل الاجتماعي أي الواقع (facteur social)

- أين اللغة من 4 إلى 24 شهرا. (لا تعطينا تفسيرا علميا لذاك)